الإرجاء وأثره في واقعنا المعاصر

*محمد خير العمري**

ملخص

يتناول هذا البحث الفكر الإرجائي وأثره في الواقع المعاصر، من خلال التركيز على الأفكار والمعتقدات التي كانت وما تزال مؤثرة في عقول وسلوك تيار عريض من المسلمين.

كما تتناولت هذه الدراسة تتبع أفكار الإرجاء والتي تتمثل بالتناقض الواضح بين الإعتقاد والسلوك، ومحاولة التعرف على الأسباب التي أدت إلى ذلك ومحاولة الرد عليها بالأدلة النقلية والعقلية.

الكلمات الدالة: الإرجاء، إيمان، فرق.

المقدمـــة

لقد ابتليت التجارب الحضارية – عبر التاريخ– بنماذج للإنفصام بين الفكر والتطبيق، بين الإيمان والعمل شوهت الفكر، وجعلت العمل طالحاً لا صالحاً، ويسير في طريق مسدود.

ففي اليهودية تحريم للربا.. لكن اليهود غدوا أساطين الربا في العالم منذ ظهور الرأسمالية وحتى هذا التاريخ.

وفي المسيحية تحريم الربا، ولكن المسيحيين سرعان ما نافسوا اليهود في جني الأرباح الفاحشة من وراء الربا، ومن خلال مؤسسات الرأسمالية الكبرى، وفي المسيحية تحريم الزنا لكن الحضارة الغربية المسيحية أو ذات التراث المسيحي قد جعلت تجارة الدعارة ثالث التجارات الكبرى بعد تجارة السلاح وتجارة المخدرات، وهما أيضاً مما حرمته المسيحية واعتبرت الحضارة الغربية الشذوذ الجنسي قانوناً معتبراً ومرعياً في كثير من أقطار تلك الحضارة. بل لقد وصل هذا البلاء إلى بعض الكنائس فغدا بعضها يزوِّج الشواذ، ويتولى في بعضها مناصب الكهنوت قساوسة شواذ (انظر: عمارة، 2010).

ولا شك أن مخالفة القول للفعل وتناقض الممارسات مع الأفكار نوع صريح من الخيانة للمقولات والأفكار، لكن الأمر يزداد فداحة وخطورة إذا كان الأمر متعلقا بالوحي ونبأ السماء.

ولهذا كان إلحاح القرآن الكريم على أن تتسق أقوال المؤمن مع أفعاله، وإصراره على وجوب إتحاد المبدأ مع الممارسة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [آية 2–3 الصف].

وقد أبتليت أمتنا الإسلامية بالمرجئة الذين حاولوا أن يفصلوا بين الأقوال والمبادئ والأفكار وبين الممارسة والتطبيق والأعمال.

كما أنّ التفلت من تكاليف الدين والبعد عن رحى الإسلام وإهمال الواجبات سمة بارزة في كثير من شباب المسلمين وهناك أسباب كثيرة ساهمت في هذا الخلل وشكلت هذا التناقض بين الإيمان والعمل بعضها خارجي تمثل بمكر الليل والنهار، وبعضها داخلي، ولا شك في أن الفهم الخاطئ والسلبي للإسلام من أهم الأسباب الداخلية التي كان لها أثر في الإنفصام بين الإعتقاد القلبي والسلوك العملي، وهذا الأمر يحتاج الى معالجة شاملة من كل جوانبه، وأرجو أن يكون في هذا البحث بعض معالجة لجانب من جوانب الموضوع.

إشكالية الدّراسة

لما كانت أمتنا أحوج ما تكون إلى العمل المثمر المرتكز على الإيمان الحي والعقيدة الدافعة كان هذا البحث مساهمة تصب في هذا الإتجاه، ليجيب على تساؤلات مهمّة وهي: هل المرجئة فرقة تاريخية ظهرت ثم بادت، عاشت في فترة ما ثم أدركها الأجل فماتت، أم هي فكرة يمكن أن تحيا وتتجدد في أشكال وقوالب جديدة؟ وما أسباب بعث ملامحها وسماتها وأفكارها من جديد؟

وهل ما زال للمرجئة وجود حاضر وصدى مسموع في ساحة الفكر الإسلامي ؟ وإذا كان له وجود فما الأسباب التي دعت الى ذلك وأسهمت فيه؟ وهل للفكر الإرجائي أثر في واقع المسلمين وسلوكهم ؟

الدراسات السابقة

هناك العديد من الكتب والمراجع القديمة تحدثت عن المرجئة

* كلية الشريعة، جامعة آل البيت، الأردن. تاريخ استلام البحث 2014/11/8، وتاريخ قبوله 2015/2/18.

© 2016 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

وكان ذلك في كتب الفرق الإسلامية والمِلل والنِّحَل وهناك بعض الكتب الحديثة مثل: "ذمّ الإرجاء"، لخالد عبدالرحمن المصري، و"الصواعق المرسلة على أهل الإرجاء"، لمحمد سعيد رسلان، و"إتحاف النبلاء لرد شبهات من وقع في الإرجاء"، لعلي عبدالعزيز موسى، وكتاب "ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي"، لسفر الحوالي. إلا أنّها في مجملها تتحدث عن الإرجاء كتاريخٍ وفرقة لا عن الإرجاء كواقع ومعاصرة. وأرجو أن يكون بحثي هذا خطوة على طريق معالجة هذا الأمر.

وحتى يكون البحث في متن الواقع لا في هامش التاريخ كان مقصوده الحديث عن الإرجاء كظاهرة فكرية، لا كفرقة تاريخية، يتناول الظاهرة الفكرية الإرجائية التي تغري بالتفريط بالدين وتسوغ التقصير فيه أكثر من الحديث عن المرجئة التاريخية وأقطابها وأنواعها.

وأرى أنّ هذا هو الأولى والأوجب والآكد، ومعلوم أن الإنحراف في المفاهيم أخطر من الإنحراف في السلوك، وأن إصلاح الفهم مقدم على إصلاح العمل.

هيكلية البحث

جاء البحث في أربعة مباحث يسبقهم تمهيد وتعقبهم خاتمة.

المبحث الأول: الإرجاء: دلالته ونشأته.

المطلب الأول: الإرجاء في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: نشأة الإرجاء.

المبحث الثاني: الإيمان وعلاقته بالعمل.

المطلب الاول: حقيقة الإيمان.

المطلب الثاني: علاقة الإيمان بالعمل.

المطلب الثالث: مناقشة الفصل بين الإيمان والعمل.

المبحث الثالث: أسباب أسهمت في بقاء فكرة الإرجاء.

المطلب الأول: صياغة العقيدة.

المطلب الثاني: اختلال التوازن بين الخوف والرجاء في النفوس.

المبحث الرابع: أثر الفكر الإرجائي في واقعنا المعاصر وطرق علاجه.

المطلب الأول: أثر الفكر الإرجائي في واقعنا المعاصر.

المطلب الثاني: طرق علاج الفكر الإرجائي.

المبحث الأول
الإرجاء: دلالته ونشأته في اللغة والإصطلاح

المطلب الأول: الإرجاء في اللغة والإصطلاح

الإرجاء لغة:

التأخير والإمهال. قال تعالى: {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاه} [111: الأعراف]، (والشعراء 36) أي أمهله وأخره.

والإرجاء من الرجاء وهو ضد اليأس وهو الأمل قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[218: البقرة] (انظر: ابن منظور، د. ت، 83/1-84).

الإرجاء اصطلاحاً:

لقد جاء هذا الإسم (المرجئة) الذي عُرفت به فرق وجماعات عدة اشتقاقاً من مصطلح الإرجاء، وسُميت المرجئة بهذا الإسم لأنّهم يؤخرون العمل عن الإيمان، ولأنهم يرجون ويأملون الأجر والثواب من الله لأهل المعاصي، إذ لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة كما يقولون، فيعطون العاصي بتلك المقولة الرجاء في الثواب والأمل في الجنة (انظر: الأشعري، 1950م، 119/1)، (الشهرستاني، د.ت).

نشأة المرجئة:

كانت الفتنة التي حصلت زمن عثمان بن عفان ﷺ، وما تلاها من اختلاف واحتراب من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية، فأخذت تثير قضية الخلافة ومن الأولى بها والأحق. قال الشهرستاني:"ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان" (الشهرستاني، د. ت).

وكان الخوارج والشيعة أقوى الفرق وأصلبها؛ فكفّر الخوارج علياً وعثمان والقائلين بالتحكيم، وكفر الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان، فكان تشددهم في آرائهم الدينية والسياسية السبب في ظهور نواة فرقة المرجئة، إذ رأوا ألاَّ يغمسوا أيديهم بالدماء، واعتزلوا الفتن، ولم يحكموا بتخطئة أحد، ولا بصوابه، لأنهم لم يتبينوا وجه الحق فأرجؤوا أمرهم إلى الله، ووقفوا موقفاً وسطاً، فلم يوالوا أحداً ولم يعادوا أحداً، ولم يشهدوا بحق ولا بباطل لأحد (انظر: أبو زهرة، 1987م)، و(أمين، 1965م).

ومن هؤلاء أبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي (ت 52هـ) الذي كان يدعو الناس إلى تجنب الفتنة ويذكّر النّاس بما يرويه عن النبي ﷺ: إنها ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فيلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله: من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينجو إن استطاع النجاة (مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، حديث رقم 2887).

وأُثر عن ابن عمر أكثر من رواية كانت تدل على حيدته ومنها أنه كان يقول: "لا أقاتل في الفتنة، وأصلي وراء من غلب". (ابن سعد، 1990)

ومنهم عمران بن حصين فقد كان يثبط الناس عن الفتنة والاقتتال ويدعوهم إلى القعُود عنها.

قال أبو قتادة: قال لي عمران بن حصين: إلزم مسجدك، قلت فإن دُخل عليَّ بيتي؟ قال: قال عمران: لو دخل عليَّ بيتي يريد نفسي ومالي لرأيت أنه قد حل لي قتاله (ابن حجر، 1415هـ).

ومنهم سعيد بن أبي وقاص فقد كان يقول: "لا أُقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر" (ابن حماد، 1412هـ).

وهذا أسامه بن زيد يرسل مولاه حرملة إلى عليَّ ليوضح له موقفه، يقول حرملة: "أرسلي أسامة إلى عليَّ وقال: انه سيسألك الآن فيقول ما خلَّف صاحبك؟ فقل له يقول لك: لو كنتَ في شدق

الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لا أره" (ابن حجر، 1379هـ).

وقال ابن عساكر: "وأما المرجئة فهم الشُكَّاك الذين شكوا وكانوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد مقتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس بينهم اختلاف، قالوا: تركناكم وأمركم واحد، ليس بينكم اختلاف وقدمنا عليكم وأنتم مُختلفون، فبعضكم يقول: قُتل عثمان مظلوماً، وكان أولى بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول: كان عليٌّ أولى بالحق وأصحابه، كلهم ثقه، وكلهم مصدَّق، فنحن لا نتبرّأ منهما، ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما ونرجئ أمرهما إلى الله، حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما". (ابن عساكر، 1995م).

قال النووي: "إن القضايا كانت مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين، ولم يقاتلوا ولم يتعينوا الصواب" (النووي، د. ت).

وهذا النوع من الإرجاء قول اجتهادي اقتضته ظروف الفتنة، قبل أن يستبين وجه الحق، وأنه مع الإمام علي ﷺ وهؤلاء إن صح إطلاق الإرجاء على موقفهم وهو إرجاء حيرة لا إرجاء فكرة، وهذه الحيرة خاصة بقضية الحكم على المختلفين بالخطأ والصواب. وأما موالاتهم والإقرار بفضلهم وسابقتهم فلم يكن موضع شك عندهم (الحوالي، 1999م).

وقد نُسب الإرجاء إلى كثير من علماء السنة كأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وغيرهم كثير (الشهرستاني، د. ت).

هذا وقد نال الأمام أبا حنيفة النصيب الأوفر من هذا الإتهام، والذين نسبوا أبا حنيفة إلى الإرجاء فريقان:

1- بعض المحدثين الذين خالفوا أبا حنيفة في تحديد معنى الإيمان، فبينما كانوا يجعلون الإيمان مؤلفاً من ثلاثة أركان: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، كان أبو حنيفة يقصره على الركن الأول، وهو التصديق بالقلب فسموه لذلك مرجئاً وكانوا يقصدون به المعنى اللغوي أي أنه يؤخر العمل في الرتبة.

2- جمهور المعتزلة، وذلك لأنه كان يخالفهم في حكم مرتكب الكبيرة بأنه يُعاقب جزماً بدخول النار، وأنه يخلد فيها، يجدون أبا حنيفة لا يحكم عليه بشيء بل يقول أن أمره مفوض إلى الله فسموه لذلك مرجئاً أي أنه يؤخر الحكم ولا يجزم به (الباقلاني، 1988م).

ولقد كره البعض إطلاق وصف الإرجاء على بعض الصحابة والأئمة العظام، يقول الإمام أبو زهرة: "وعندي أن الأولى إبعاد وصف الإرجاء عن الأئمة الأعلام حتى لا يشترك معهم في الاسم أولئك الإباحيون (أبو زهرة، 1987).

ثم مضت الحياة، وتطوَّر الفكر الإرجائي، وتشعبت معاني الإرجاء وأخذت مناحي عدة، وتصورات وأبعاداً جديدة، وتوزعت هذه المعاني فرق كثيرة، وسرى تيار الإرجاء في الفكر والتاريخ الإسلامي. وقد عدّ أبو الحسن الأشعري اثنتي عشرة فرقة للإرجاء(*).

وعدها البغدادي خمس فرق(*)، بينما هم عند الخوارزمي ست فرق(*).

ويرى محمد عمارة أن مرد هذا الاختلاف مرتبط بالنهج غير الموضوعي الذي تسرّب إلى كثير من كتب المقالات عندما أصبح الخلاف في رأي أو مسألة يؤدي عند التصنيف والتأريخ إلى اعتبار كل صاحب رأي أو مسألة زعيم فرقة أو مدرسة أو تيارا بدلاً من جعلهم علماء فرقة واحدة مختلفين في الجزئيات (انظر: عمارة، 1997م).

ولعل اختلاف العلماء في مسمى الإيمان كان من أهم الأسباب التي أدت إلى تلك الإختلافات.

(*) الجهمية والصالحية واليونسية والشمرية والثوبانية والنجارية والغيلانية والشبيبية والحنفية والمعاذية والتومنية والمريسية والكرامية.

(*) اليونسية، والغسانية، والتومنية، والثوبانية، والمريسية، أنظر الفرق بين الفرق، اعتنى بها وعلق عليها: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1997م، ص187.

(*) الغيلانية والصالحية واصحاب الرأي والشبيبية والشمرية والجهدرية. أنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد ابن يوسف، (ت 387)، مفاتيح العلوم، حققه وقدم له: إبراهيم الابياري، الناشر: وزارة الثقافة الأردنية، 2010م، ص48.

المبحث الثاني
الإيمان وعلاقته بالعمل

المطلب الأول: حقيقة الإيمان:

اختلف العلماء في حقيقة الإيمان، وصار تحديد مفهوم الإيمان إحدى القضايا التي كثر حولها النقاش، وتعددت فيها الآراء على أقوال، أهمها بإيجاز (انظر: أبي العز، 1418هـ)، و(الباجوري، 1987م)، و(البيهقي، 1990م)، و(القاري، د.ت):

1- الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، وهو قول جمهور الأئمة والمشهود عن سلف الأمة، وبه قالت الخوارج والمعتزلة، إلاّ أن أصحاب الفرق اختلفوا في ترك العمل، فذهبت المعتزلة إلى أن ترك العمل يخرج صاحبه من دائرة الإيمان، ولكن لا يدخله في الكفر، وانفردت الخوارج بتسميته كافراً، وذهب أهل الحديث إلى أن ترك العمل لا يخرج صاحبه من دائرة الإيمان وأنه تجري عليه أحكام الإسلام.

2- الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان فالتصديق وحده لا ينجي، والنطق وحده لا يكفي، فأحدهما ليس بإيمان ولا بد منهما معاً. وأما العمل فشرط كمال فمن أتى بالعمل فقد حصّل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن ولكن فوّت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد وهو قول الحنفية وبعض الأشاعرة.

3- الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، فالتصديق القلبي عندهم هو الركن والأساس وأن القول باللسان والعمل بالأركان فروع متفرعة عن ركن التصديق وبه قال بعض الأشاعرة.

وقال المرجئة إن الإيمان وحده كافٍ في العصمة من دخول النار وإنه لا يضر مع الإيمان شيء من الذنوب وقد أفصح عنها شاعرهم بقوله:

كن مسلماً ومن الذنوب لا تخف
حاشا المهيمن أن يُري تنكيدا
لو شاء أن يصليك نار جهنم
ما كان ألهم قلبك التوحيدا (ابن عاشور، 1973م)(*)

فمنزلة العمل من الإيمان هو موضع المعركة بين فرق الأمة. فالمرجئة: أخرجوا العمل من الإيمان فلا يضر المسلم ترك العمل عندهم بل هو عندهم مؤمن كامل الإيمان. والخوارج والمعتزلة: جعلوا العمل شرطاً لصحة الإيمان ومن ثم فإن المسلم يكفر بتركه عند الخوارج، وهو في منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة، وأهل السنة: جعلوا العمل ركناً من أركان الإيمان، غير أنهم لم يكفِّروا بترك العمل غير المستحل، وهذا هو القول الصحيح الذي تسنده الأدلّة.

المطلب الثاني: علاقة الإيمان بالعمل:

الإيمان من حيث طبيعته هو قوة ذات أثر جليل، ومهما يتخذ الإنسان من عقيدة تنطبع حياته بأثر منها ولو كانت من بنات الفكر والوضع البشري، لكن الإيمان يختص عما دونه من العقائد الوضعية بآثار بعيد مداها حميد وقعها في الحياة (انظر: الترابي، 1984م).

قال ابن عاشور: "أعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم وأفكارهم، فجدير بمن صلحت عقائده وأفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة، ولذلك كان أسلوب الإسلام في الأمر بالأعمال الصالحة والنهي عن أضدادها أن يبتدئ بإصلاح العقيدة" (ابن عاشور، 1973م). وهذا هو منهج القرآن إصلاح العقيدة وغرس الإيمان قبل صدور الأحكام ونزول التكليف.

تقول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها-: "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولو نزل من أول الأمر: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا نترك الخمر أبداً، أنزل الله على النبي ﷺ وأنا جارية العب {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ }[46:القمر]، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده في المدينة" (البخاري، 1422هـ، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم 4993).

ويقول جندب بن عبد الله:" كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة (ابن منظور، د. ت) فتعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً" (ابن ماجه، باب في الإيمان، حديث رقم 61).

ويؤكد هذه الحقيقة عبد الله بن عمر فيقول: "لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي أن يقف عليه منها، ثم رأيت رجالاً يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري أمره ولا زجره، وما ينبغي أن يقف عنده فينثره نثر الدقل" (الحاكم، 1990م، حديث رقم 101).

يقول سيد قطب: " لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلتهم من القضايا العلمية

(*)ما توصلت إليه من خلال الشبكة العنكبوتية أن هذين البيتين للشاعر عبد الله بن عمر الشاطري العلوي الحسيني الحضرمي، وهو معاصر وقد توفي سنة (1361هـ) ومطلعها مُت مسلماً وليس للقصيدة غير هذين البيتين.

والفقهية محصولاً يملأ به جعبته. إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها. يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه، ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه" (قطب، 1983م).

فالتربية الإيمانية قامت أولاً على بث الإيمان وبعثه وإيقاظه في القلوب وعندما ينصلح القلب ويحيا الإيمان تنصلح الجوارح تبعاً له فهو الأساس " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرئ لدينه، حديث رقم 52).

والعمل الصالح هو الثمرة الحقيقية للإيمان. فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ما أن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج على صورة عمل صالح، هذا الإيمان هو الإيمان الإسلامي الذي لا يمكن أن يظل جامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت، ومن هنا قيمة الإيمان أنه حركة وعمل وبناء وتعمير يتجه إلى الله، إنه ليس انكماشاً وسلبية وانزواء في مكنونات الضمير، وليس مجرد النوايا الطيبة التي لا تتمثل في حركة، وهذه طبيعة الإسلام التي تجعل منه قوة كبرى في صميم الحياة (قطب، د.ت).

فالصلة بين الإيمان والعمل كالصلة بين العمل والحياة فإن لم يتحرك الإيمان في صورة عمل فهو ميت، قال تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ}[122:الأنعام].

والإيمان الحي هو الإيمان الفاعل المؤثر القائد الموجه.. الإيمان الذي تنتج عنه الأعمال ويضبط به السلوك، ويصلح به الواقع، وتستقيم به الحياة.. ويبعث عن الحركة والهمة والنشاط والسعي والجهد والمجاهدة والجهاد والتربية (الخالدي، 1994م) وكأنما الإيمان صار سلوكاً اعتقادياً أو اعتقاداً سلوكياً.

يقول ابن القيم: "الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته؛ فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حقن الدماء وعصم به المال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو بإكراه وخوف وهلاك. فتخلف العمل الظاهر مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقصه دليل نقصه، وقوته دليل قوته، فالإيمان قلب الإسلام ولبه" (ابن القيم، 1973م).

يقول الخطيب البغدادي في كتابه اقتضاء العلم العمل: "إن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يُعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما" (البغدادي، 1997م).

والقرآن لا يكاد يذكر الإيمان إلا مقروناً بذكر العمل الصالح، وسنة القرآن في هذا الإقتران مؤيدة بخمس وسبعين آية.

والسنة النبوية استنكرت فصل الإيمان عن العمل، جاء رجل يبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام لكنه اعتذر عن الجهاد والصدقة، فغضب النبي ﷺ واحمرت وجنتاه وقبض يده ثم حركها ثم قال: "لا صدقة ولا جهاد.. فبمَ تدخل الجنة" (الحاكم، 1990م، كتاب الجهاد، حديث رقم 2421).

وقد كان الرسول ﷺ القدوة الأولى والنموذج الأمثل للمسلم وكانت سيرته هي التجسيد الحي والعملي لكل عقائد الإسلام ومبادئه وقيمه وواجباته وسننه ومستحباته. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } [21:الأحزاب].

وقد تأسى به الصحابة والتابعون وتابعوهم خير تأس، وكان عملهم سنة عملية مثلت الإسلام خير تمثيل، ومن هنا فقد جعل الإمام مالك "عمل أهل المدينة" أصلاً فقهياً في استدلاله، واحتج به في قضايا كثيرة وقدمه على المأثورات والمرويات، وما زال هذا المبدأ من مسائل الفقه المالكي وقواعده.

المطلب الثالث: مناقشة الفصل بين الإيمان والعمل:

تعتقد المرجئة جواز ثبوت كامل الإيمان في القلب مع وقوع عمل الجوارح على خلاف ذلك، إذ المعاصي وإن كثرت وكبرت فلا تؤثر بنظرهم على الإيمان الذي لا يتجاوز حيز القلب وتصديق الجنان.

ولمناقشة هذا الإشكال ننطلق من منطلقات ثلاثة: لغوية، ونحوية، ونفسية.

1- الدلالة اللغوية (المعجميّة):

استند المرجئة إلى المدلول اللغوي للإيمان، وبما أن الإيمان في اللغة هو التصديق فيقولون الأصل أن لا نزيد عليه غير معناه وندخل عليه ما ليس منه كالعمل مثلاً أو غيره.

وللإجابة على هذا الإشكال لا بد من بيان وظيفة المعاجم اللغوية وتوضيح أنها إنما جعلت ووضعت لضبط الألفاظ لا لتحديد المعاني، ومن الخطأ المنهجي اللجوء إلى المعاجم لبيان حقيقة من حقائق الدين مثل كلمة إيمان أو عبادة أو صلاة أو زكاة أو حج أو دعاء أو ربا أو المفلس..الخ لأن الشارع نقل وغيّر كثيراً من الألفاظ عن معانيها اللغوية واكتسبت بالإسلام

معنى آخر وصفة خاصة لا يسعفنا بها المعنى اللغوي.

وفي القضية التي نحن بصددها، فليس الإيمان أصلاً رديف التصديق فالإيمان مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف (الراغب، 1988م).

كما قال إخوة يوسف: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [17: يوسف]، أي لا تقر بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين، فالتصديق وحده لا يدل على ذلك (ابن تيمية، د. ت).

فالإيمان فيه معنى زائد على التصديق، وهو الثقة والركون. يقول صاحب المنار: "الإيمان هو التصديق الجازم، المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها وآيته العمل"(رشيد، 127/1).

فليس الإيمان إذاً في الدين هو مجرد التصديق بل معناه أن يبلغ الشعور بالشيء حداً محركاً للعواطف ومحركاً للسلوك" (حبنكة، 1986م).

ويقول القسطلاني في إرشاد الساري: "فليس حقيقة التصديق أن يقع في القلب نسبة التصديق إلى الخبر أو الخبر من غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول لذلك بحيث يقع عليه اسم التسليم" (القسطلاني، 1323هـ).

وخلاصة القول أن الأخذ بالمعنى اللغوي الموجود في المعاجم وحصر الإيمان به خطأ منهجي،

إذ اكتسبت كثير من الكلمات بالدين معاني جديدة إضافية على أصل وضعها، والقرآن صريح في أن التصديق القلبي وحده لا يُعد إيماناً في قوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [14:النمل]، وقوله تعالى: { فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ }[89:البقرة].

2- الدّلالة النحوية:

قالوا: إن الله فرَّق في القرآن بين الإيمان والعمل في مواضع، واتخذوا من هذا حُجة لهم. ودليلهم في هذا هو ورود العمل الصالح في التعبير القرآني معطوفاً على الإيمان، وهذا يعني أن العمل ليس داخلاً في مسمى الإيمان لأن العطف يقتضي المغايرة، والشيء لا يعطف على نفسه كما يقولون.

وقالوا أيضاً أن الرسول ﷺ بشرَّ بالجنة من نطق بكلمة التوحيد فقال: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"، وليس في الحديث إشارة إلى عمل الجوارح البتة.

وللإجابة على هذا الإشكال أقول: صحيح أن الأصل في عطف النسق التغاير كما يقول النحاة، والأصل أن يكون المعطوف مغايراً للمعطوف عليه في لفظه ومعناه، فلا يعطف الشيء على نفسه، لكن قد تخالف العرب هذا الأصل وتعطف الشيء على نفسه لمعنى بلاغي كقول الشاعر "... الفى قولها كذباً ومينا".

فقد عطف المين على الكذب، ومعناهما واحد لغرض بلاغي وهو تقوية معنى المعطوف عليه وتأكيده.

جاء في قواميس اللغة أن: المين الكذب (انظر: القزويني، د. ت)، و(ابن منظور)، ومثله في القرآن الكريم {عَبَسَ وَبَسَرَ} [22:المدثر]، وفيه {لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً} [107:طه]، وقوله {فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً} [112:طه].

وكذلك {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ}[86:يوسف]، وقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة)، وكذلك قوله ﷺ: "ليلني منكم ذوو الأحلام والنهى" (مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، حديث رقم 432).

الأصل في العطف هو التغاير إلاَّ ما كان لغرض بلاغي أو لتقوية المعنى، وكثير في القرآن عطف الخاص على العام تخصيصاً له واهتماماً به كقوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} [98:البقرة].

ولا شك في أن جبريل وميكال من الملائكة، ولم يمنع ذلك من العطف، وهذا أمر جائز ومعروف

في لغة العرب التي نزل بها القرآن (انظر: السيوطي، د.ت)، و(الأنصاري، 1987م)، و(عباس، 1989م).

ومثل ذلك قوله تعالى:{حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى}[238: البقرة]، معلوم أن الصلاة الوسطى داخله في قوله (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ) لكنه خصها بالذكر تأكيداً واهتماماً.

وكذلك يُقال في عطف العمل على الإيمان في الكثير من الآيات القرآنية(*) فذكر الخصوص بعد العموم للإهتمام، وهو أمر جائز في اللغة وارد في القرآن.

وجملة القول وتلخيصه:

أن ذكر العمل بعد الإيمان إما لذكره خصوصاً بعد عموم، وإما لكونه إذا عطف كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام.

فعلى القول الأول وعليه قول أهل السنة فلا إشكال وعلى القول الثاني فليس فيه للمرجئة استدلال.

(*) كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ الكهف آية 2، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾الكهف آية 107، وقوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ غافر، اية 7، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ النساء، أية 124.

إذ معنى عطف العمل الصالح على الإيمان حينئذ أن الإيمان وحده دون إقترانه بالعمل لا يكون مستوجباً للوعد لأن الوعد متوقف على شرطين: الإيمان والعمل الصالح. يقول ابن تيمية: "فكان ذكرها تخصيصاً وتنصيصاً ليُعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، ولا يكون لمن ادعى الإيمان ولم يعمل" (ابن تيمية، د. ت).

والآيات كلها واضحة في دحض مقالة المرجئة في شأن انفصال الإيمان عن العمل.

وأما الحديث الذي استشهدوا به وهو قول الرسول ﷺ: من قال "لا إله إلا الله دخل الجنة" (الترمذي، أبواب الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلّا الله، حديث رقم 2638). فقد ذهبت طائفة من أساطين أهل العلم إلى أن مثل هذه الإطلاقات كانت في ابتداء الإسلام، فلما فرضت الفرائض وحدَت الحدود نُسخ ذلك وإلى هذا القول ذهب الضحاك والزهري وسفيان الثوري (المنذري، د. ت).

قال الحافظ المنذري نقلاً عن بعض أهل العلم: "لا احتياج إلى إدعاء النسخ في ذلك فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته" (المنذري، د. ت).

ويقول إبن القيم: "وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنّه لا خالق إلا الله، وأنّ الله رب كل شيء ومليكه كما كان عباد الأصنام يقرون بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله والخضوع له، والذلة له وكمال الإنقياد لطاعته وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: "انّ الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله.." وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقراء الشرع...والشارع لم يجعل ذلك حاصلاً لمجرد قول اللسان فقط فإن هذا خلاف المعلوم من دين الإسلام، فلا بد من قول القلب وقول اللسان... وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً ما يوجب تحريم قائلها على النار" (ابن القيم، 1392هـ).

والرسول ﷺ قد قال هذا الحديث في بيئة تقدر قيمة الكلمة وأن لها تكاليف وتبعات فلمّا قال لهم: كلمة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نقولها وعشر أمثالها لكنهم لما عرفوا أنها لا إله إلا الله نكصوا ورجعوا (النسائي، أبواب تفسير القرآن، حديث رقم 3232).

ثم إنّ الرسول ﷺ أراد ألّا ييأس أحد من رحمة الله، ولم يقصد أن يخترع منه المرجئه إسلاماً بلا تكاليف أو إسلاماً بلا إسلام ولما خشي الرسول ﷺ من هذا الفهم في موقف ما قال لمعاذ ﷺ لما سأله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا (البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قومٍ كرهية أن لا يفهموا، حديث رقم 129).

3- الدلالة النفسية:

إنّ ما تعتقده المرجئة من التفريق بين الإيمان والعمل واثبات الإيمان كاملاً في القلب مع وقوع عمل الجوارح على خلافه، فهو فصل إعتباطي للحقيقة النفسية الواحدة، يجعل أحد شقيها ذاهباً ذات اليمين والآخر ذاهباً ذات الشمال في وقت واحد، وهو ما لا يقع إطلاقاً، بل إنّ هذا الفصل يشبه من الناحية العضوية فصل القلب عن الجسد وفصل الطاقة عن الحركة.

إذ لا يتصور أن يمتلئ القلب بالحب وتعمل الجوارح أعمالاً كلها عداء وانتقام، أو أن يمتلئ بالرحمة وتعمل الجوارح أعمالاً كلها غلظة وفظاظة، أو يمتلئ بالإيمان وتعمل الجوارح أعمالاً كلها فجور وآثام (الحوالي، 1999م).

إن انفصال الفكر عن الممارسة، أو امتلاء النفس البشرية بشيء مع مغايرة سلوكها الواقعي لما تؤمن به نوع من الانفصام، وهي حالة يعرفها المشتغلون بعلاج الأمراض النفسية يكون للمريض فيها شخصيتان منفصلتان، وهو نوع من الاضطراب النفسي والعقلي، حيث يظن المصاب أن له شخصية ما وشخصية أخرى تماماً في حين آخر بحيث يتباين السلوك ويصيبه اضطراب في السلوك والمشاعر والتفكير، وهذا خلل عقلي دماغي مزمن، وحالة مرضية.

أما الحالة المفترضة، وهي وجود إنسان في حالة طبيعية في كامل وعيه وإرادته يؤمن بشيء

ما ثم لا يبدو في مجموع تصرفاته كلها أو واحد منها ما يدل على وجود ذلك الإيمان – دون وجود قهر أو إكراه– فهي حالة مستحيلة في واقع النفس البشرية لم يتحدث أحد عنها في التاريخ (انظر: قطب، 1988م).

المبحث الثالث

أسباب أسهمت في بقاء فكرة الإرجاء

المطلب الأول: صياغة العقيدة بطريقة عقلية مجردة

الصياغة العقلية التجريدية والخلو من المعاني الشعورية الندية سمة بارزة في كتب الأصول وشروحها، لا سيما أنّ مدونات علم العقيدة في مجملها ارتبطت بالفلسفة وعلم الكلام أكثر من ارتباطها بمنهج القرآن وطريقة عرضه، فجاءت

بطريقة عقلية جافة، وتحولت من كونها طريقة حياة إلى كونها طريقة فكر ودراسة.

ويرى عبد المجيد النجار أن تدريس علم العقيدة غدا في معاهدنا ومنابرنا لا صلة له بالواقع، وجل قضاياه تنحصر في عالم الغيب دون وصل له بعالم الشهادة وواقع الحياة، فصار علم العقيدة تلقيناً باهتاً ليس له أثر على إرادة، ولا يدفع إلى عمل، واستعاض عن ذلك بالمغالاة في التفصيل والتقرير ومجادلة الخصوم (انظر: النجار، 1995م)، وغدت حقائق العقيدة مجرد تصديقات ذهنية باردة لا تقوّي عقيدة ولا تزيد إيماناً ولا تبعث على اطمئنان قلب وسكينة نفس وشفافية روح، لأن هذا لا يحققه علم الكلام، فعلم الكلام التقليدي يعلم المسلم مسألة وجود الله لكنّه لا يعلمه كيف يحيا بالله ولله كما كان يحيا السلف عليهم رضوان الله. فالمطلوب كما يقول المفكر المسلم محمد إقبال: "العلم بالله ليس بوجوده وإنما بالاتصال به وتجديد الصلة به عن طريق توفير الدافع الداخلي الذي يجعل قلب المؤمن ينتفض ويسترد الحياة فينتصر على الخمول والجمود والبطالة" (إقبال، 1986م).

وتدريس العقيدة بهذه الطريقة من شأنه أن يكرِّس الإرجاء بطريقة غير مباشرة؛ لأنّ هذه الطريقة لا تربط بين الإيمان والعمل، تنفذ إلى العقل ولا تنفذ إلى الإرادة والجوارح والسلوك، فقيمتها نظرية، لكنّها قليلة الجدوى من حيث الثمرة العملية.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "وغدا هذا العلم بحثاً نظرياً ينظم المقدمات ويستخلص النتائج، كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا هذا، أو الموازين التي تضبط أثقال الأجسام ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبين، وكان من نتائج ذلك أن أُبعد القلب من مجال المخاطبة بالعقيدة، بيد أن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الإنفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية" (الغزالي، 1989م).

المطلب الثاني: عدم التوازن بين الخوف والرجاء في النفوس

القناعات العقلية قد لا تكون وحدها قادرة على الإستنفار العملي إن لم يخالطها معاني قلبية كالخوف والرجا والحب والشوق فهذه المعاني تستجيش الإعتقاد وتبث فيه الروح والحياة.

ولما كان الإرجاء قد بُني بطريقة غير متوازنة على الرجاء وحده أدى ذلك إلى خلل بيّن في الإعتقاد والسلوك. ولا بد في المعالجة من إعادة الموازنة بين الخوف والرجاء.

والخوف المحمود المطلوب هو الخوف الذي يدفع إلى العمل، ويحافظ على جذوة الأمل.

والخوف وسيلة قوية فعّالة لإيقاظ النائم وتنبيه الغافل لأن "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل" (الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق، باب في ثواب الإطعام والسقي والكسو وحديث من خاف أدلج، حديث رقم 2450).

وقد مدح الله أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بذلك فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[90:الأنبياء]، وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} [21:الرعد].

والخوف نهج الأولياء والصالحين.

يقول ابن القيم: "ومن تأمل أحوال الصحابة – رضي الله عنهم– وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جميعاً جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن.

فهذا الصديق ﷺ يقول:"وددت أني شعرة في جنب مؤمن، وذُكر أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.. وقال: ليتني خضرة تأكلني الدواب (ابن القيم، 1997م).

وقال رجل عند عبد الله بن مسعود ﷺ: "ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليَّ. قال ابن مسعود: لكن هاهنا رجل ود لو أنه إذا مات لم يُبعث يعني نفسه". (الكاندهلوي، 1998م).

وقالت فاطمة بنت عبد الملك – زوجة عمر بن عبد العزيز–:"ما رأيت أحداً قط أشد فرقاً من ربه من عمر، كان إذا صلى العشاء قعد في المسجد، ثم يرفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه ثم ينتبه فلم يزل رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عيناه" (الذهبي، 1419هـ).

وبكى عمر يوماً فبكت فاطمة فبكى أهل الدار، لايدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العَبر، قالت له فاطمة: "بأبي أنت يا أمير المؤمنين مَ بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم بين يدي الله – عز وجل– فريق في الجنّة وفريق في السعير ثم صرخ وأغشي عليه" (العفاني، 1417هـ).

وقيل في وصف الحسن البصري أنّه كان "إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة، ثم جاء يخبر عنها، وكانوا إذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئاً" (ابن رجب، 1414هـ).

والإسهاب في الأمثلة يخرج البحث عن مقصوده، فأكتفي بما أوردت من أمثلة، ولا شك من ناحية نفسية فسيولوجية أن الخوف أكثر أثراً على الإرجائي من الرجاء، وأصلح لشأنه. فالخوف والرجاء علاجان والعلاج يكون على قدر الخلل، وقد أجاب الإمام الغزالي على أيهما أصلح للمرء، فقال: "إعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت، وربما ينظر الناظر إليها فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما؟ وقول القائل:

الخوف أفضل أم الرجاء؟ سؤال فاسد يضاهي قول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع، والماء أفضل للعطشان، فإن اجتمعا نُظر إلى الأغلب، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل، وإذا استويا فهما مستويان، وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، والخوف والرجاء دواءان يُداوى بهما القلب، ففضلهما بحسب الداء الموجود؛ فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله والإغترار به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل.

وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل، فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي، فأما التقى الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه، وخفيه وجليه، فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل لو وُزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا، وروى أن علياً – كرم الله وجهه – قال لبعض ولده: يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك، ولذلك قال عمر –رضي الله عنه– لو نودي ليدخل النّار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل، وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والإستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي، فمثل عمر ﷺ ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه، فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثنى من الذين أُمروا بدخول النّار كان ذلك دليلاً على اغتراره (الغزالي، 1412هـ).

مدار الصلاح وسبيله الأعظم مبني على التصديق بالوعيد، وهؤلاء هم الّذين تنفعهم النذر، قال تعالى:{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا }[45:النازعات]، والخشية المطلوبة ليس خوفاً باعثاً على القنوط، وإنما كما قال الإمام ابن تيمية: "والخشية ابداً متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطاً، كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً" (ابن تيمية، د. ت).

المبحث الرابع

أثر الفكر الإرجائي في واقعنا المعاصر وطرق علاجه:

المطلب الأول: أثر الفكر الإرجائي في واقعنا المعاصر:

الحديث عن تيارات الفكر الإسلامي في تراثنا هو حديث عن واقعنا الفكري الراهن، والوعي بتيارات الأمس هو إسهام جاد وضروري في تصحيح مسارنا وترشيد مسيرتنا.

وكثير من التوجهات الفكرية المعاصرة لها جذور تاريخية من فرق بادت كحركة منظمة، وكتب لكثير من أفكارها الحياة بصورة جديدة أحيتها ظروف وملابسات معاصرة، فنزعات التشدد والغلو في الدين الموجودة في مجتمعنا المعاصر لها جذور من فرق عقدية ظهرت في التاريخ وغالت في الدين، وأدبيات تلك الفرق وأدلتها ومناهجها تُعد مرجعاً وغذاءً لهذه التيارات.

والتاريخ كما يُقال يعيد نفسه، فكما أن الإرجاء قد ولد بداية ردة فعل لفكر الخوارج والتكفير، فإن نزعات التشدد والغلو في الدين التي ظهرت حديثاً قد أسهمت في تعميق حالة الإرجاء، وجعلت منه ظاهرة فكرية، وغدا الفكر الإرجائي يسيطر على مساحة واسعة في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر.

والمرجئة في تشخيصها تُعد مذهباً غير متكامل يوجه اهتمامه نحو قضية بعينها، ولذا فإنه لم يكن صالحاً للإستمرار الذاتي كفرقة، وأخذ يذوب بين الفرق والمذاهب ليترك بصماته هنا وهناك ليعيش من خلال الآخرين، بل لقد ضمن له ذلك بقاءً أطول (فرغل، 2000م).

وغدَ تيار الإرجاء سارياً في عقل الأمة وضميرها، وتوجهاً سائداً بين كثير من المسلمين اليوم، وأفكار الإرجاء لا تزال موجودة في أصولها ومناهجها ومقالاتها بين كثير من المفكرين، وسِماتها ماثلة شاخصة حية في سواد كثير من الناس، وأورث ذلك الميل إلى التراخي والكسل والاستسلام للدعة والراحة وعدم المبالاة بترك الطاعات واجتراح المعاصي والهيم في أوديتها.

قال ابن عاشور في معرض حديثه عن المرجئة: "وهذه طائفة قد انقرضت ولكنها أبقت شظايا من آرائها في نفوس كثير من المسلمين، إذ صار المسلمون يعتمدون على جانب الرجاء ويهملون جانب الخوف، ويتقولون على الدين أقوالاً يؤيدون بها معاذيرهم" (ابن عاشور، 1973م).

قال الإمام الذهبي: "وإنّما الصعب من قول غلاة المرجئة أنّ الإيمان هو الإعتقاد بالأفئدة... أنّهم جسروا كل فاسق وقاطع طريق على الموبقات" (الذهبي، د. ت).

وسبب ذلك الجهل بالله وجلاله، والدين وكماله، والدنيا وقيمتها مما دفعهم إلى التفريط بأحكام الدين والتقصير بواجباته.

قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: "لا يُرى الجاهل إلا مُفْرطاً أو مُفرِّطاً" (ابن منظور، د. ت) فيأتيه الشيطان من جهله وينفث في روعه أن الإيمان بالقلب، والعبرة بصفاء النفس وحُسن الخلق ونقاء الجوهر، وبعد ذلك فلا عليه إن لم يقم بتكاليف الإسلام وتطبيق أحكامه فهذه أشكال ظاهرية، والأهم

من ذلك الباطن والسريرة فهي العبرة وعليها المدار.

ومن آمن بهذا يصبح عرضة إلى الانزلاق في متاهات خطوات الشيطان شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى له من الدين شيئاً. لأنّه كما يقول الإمام الشاطبي:"كان في إبطال الأخف جرأة على ما هو آكد منه، ومدخل للإخلال به، فصار الأخف كأنه حمى للأكد، والراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فالمخل بما هو مكمل كالمخل بالمكمل من هذا الوجه، ومثال ذلك الصلاة فإن لها مكملات، وهي هنا سوى الأركان والفرائض، ومعلوم أن المخل بها متطرق للإخلال بالفرائض والأركان، لأن الأخف طريق إلى الأثقل، ومما يدل على ذلك ما في الحديث من قوله عليه السلام "كالراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه" (مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم 1599) ومن الحديث لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده، ويسرق الجمل فتقطع يده" وقول من قال:" إني لأجعل بيني وبين الحرام سترة من الحلال ولا أُحرمها وهو أصل مقطوع به متفق عليه" (الشاطبي، د.ت).

فالإيمان الحق يُحتاط له ويُحرص عليه، وأما إيمان المرجئة فلا يعدو أن يكون " قولاً باللسان ورسماً يلوح بالخيال تكذبه الأعمال، وتطمسه السجايا الراسخة والخلال، وهذا هو الإيمان الذي لا قيمة له عند الله" (رشيد رضا، 1353هـ).

ومذهب المرجئة صادف هوى أكثر المفسدين، وراق لكثير من المستهترين واتخذوه ذريعة لمآثمهم.

ومما يروى في ذلك ما يحكيه أبو فرج الأصفهاني في الأغاني فإنه يروي أن شيعياً ومرجئياً اختصما، فجعلا الحكم بينهما أول من يلقاهما، فلقيهما رجل من أمثال هؤلاء، فقال له أيّهما خير الشيعي أم المرجئ؟ فقال: ألا إن أعلاي شيعي وأسفلي مرجئ (أبو زهرة، 1987م).

والمتأمل في حال كثير من الناس اليوم يجد التناقض الواضح والتفاوت البيّن بين المعتقد والسلوك. وتفشي وباء اللاإزدواجية والفصام والإنفصال بين ما عُقد عليه القلب من معتقد، وما يظهر على الجوارح من أعمال، وكأنّ المعتقد حبيس نفس، وسجين قفص لا يقوى على حراك، وهذا أمر واضح مرئي في سواد الناس وعوامهم كما هو موجود في المتعلمين والمتنورين، فبتنا نرى أناساً ممن ينتسبون إلى الشريعة وعلومها لم يتخلوا عما غرسه المجتمع في عقولهم وقلوبهم من أفكار بعيدة عن الدين، وتتناقض مع أحكامه حتى غدت فيهم كأنّها دين، فتراه يحلف بالآباء، أو يسب الدهر، أو يذهب الى عرّاف، أو تكون العنصرية والإقليمية هي المهيمنة على فكره، والحاكمة على تصرفاته، والميزان الذي يزن به الأشياء والأفكار.

وترى بعض من يمارسون العبادات ويتحدثون بالدين يكيدون لزملائهم من أجل منصب أو رتبة، أو يمالقون أصحاب المناصب، ويتزلفون للمسؤولين، أو يستغلون الوظيفة لمصالح شخصية ومطامح نفعية كالإستيلاء على المال العام أو العمل لحساب المحسوبيات لا للصالح العام.

وترى البعض ممن تربى على ثقافة الإستحواذ والإستغلال يمارس هذه المعاني بإسم الدّين فلا يقبل رأي أحد، ولا ينفتح على فكر أحد، ويحتكر العمل للدين. فهناك مثلاً من يأخذون فرص غيرهم في الحج وقد يكون حجه نافلة وغيره فريضة، وهذا نابع من ثقافة الإستحواذ التي تربى عليها لا من التدين الحق والفهم السليم.

وهذا نوع من الإنفصام بين المعتقد والسلوك، أو بين العلم والعمل ويتخذ من الدين طقوساً شكلية ومظاهر جوفا منبته عن روحها ومقاصدها، والحكمة من تشريعها، يقول عبد المجيد النجار:"ولو تأملت حال المسلمين اليوم لرأيتهم يصدقون بالقلب ولا يعملون بمقتضى تصديقهم في السلوك، فيجري السلوك على غير مقتضى الإعتقاد، ولعل هذا الوضع هو النتيجة لما انتهى إليه أهل السنة من تقرير أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وأن العمل بمقتضاه كمال من كمالاته فحسب، والحال أن سلف الأمة من الصحابة والتابعين لم يكونوا إلّا معتبرين الإيمان تصديقاً وإقراراً وعملاً في غير تفصيل ولا فصل قد يؤول إلى ما وصل إليه المسلمون اليوم (النجار، 2010م).

فالإيمان الحق قوة تتدفق حيوية ونشاطاً، وليس صياغة لفظية خالية من الروح والحياة.

إن كثيراً من المسلمين مؤمن بالإسلام والعمل لسيادته لكنّه لا يحرك ساكناً ولا يعمل عملاً، ولا يُعمل عقلاً في سبيل ذلك أبداً.

وإنّ كثيراً من المسلمين يكره الظلم ويمقت الّذين يعتدون على حرمان الآخرين لكنّه لا يعنيه إن يعين المظلوم، ولا يدفعه إيمانه إلى دفع الظلم قدر الطاقة والإستطاعة.

فهو إسلام مجاني ليس له أيّة تبعات أو تكاليف، لأنّه إذا كان الإيمان مجرد التصديق فقد روح الإحساس بالواجب وعاد المسيطر على الناس البيئة والهوى والشهوة والشح والأثرة، وبات أمر الدين باهتاً خاوياً خاملاً في حياته.

وقد شاعت على ألسنة العوام عبارات يلوكونها بألسنتهم دون وعي بحقيقتها مثل "الدين في القلب" "المهم الأخلاق"، وإذا ما حُجَّ قال: "ليوم الله بعين الله".

وظهرت كثير من الفتاوى الشاذة المنحرفة ولا أقول المتساهلة اللينة والتي تتلائم والفكر الإرجائي ونظرته إلى

العمل(*)، ومن شأن تلك الفتاوى أن تؤدي إلى نشر الرذيلة وإشاعة الفاحشة والإنفلات المجتمعي والجنوح به نحو البهيمية، أو التساهل في بعض الأعمال التي عُلم من الدين حرمتها بالضرورة.

والناس بحكم الدعة وضعف الوازع الديني وحب الدنيا والتكالب على الحياة والميل إلى الترف مالت إلى هذا الإتجاه وأسعفها الفكر الإرجائي الذي يغطي ويبرر هذا الضعف والإنحسار ليقول للناس إن الإيمان هو التصديق والإقرار، وهنا يبدو جلياً أن المسؤولية الأولى تقع على عاتق العلماء والدعاة والمصلحين في أن يبينوا للناس كيف يكونوا مؤمنين حقاً مقبولين عند الله.

ولا مناص إن أردنا الإصلاح من إصلاح مناهج التعليم والبرامج التربوية التي بدورها تؤثر تأثيراً مباشراً في أنماط السلوك إذ إن "ملكة الإيمان إذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شأن الملكات إذا استقرت، فإنّها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة (ابن خلدون، 1994م).

المطلب الثاني: طرق علاج الفكر الإرجائي:

1) لا مناص إذا أردنا إصلاح التفكير الإرجائي من إصلاح مناهج التعليم والبرامج التربوية.

إن إصلاح مناهج التعليم بحيث تربط العقيدة بالعمل في كل جوانبها، ضرورة ملحة حتى لا يتحول المتلقي إلى شخص نظري لا يتقن غير المجادلة والمناظرة مما يدؤي بالتالي إلى ضعف الإيمان وتطور العمل، إذ أن العلم النظري المجرد وإن علم العقل البرهان إلا أنه لم يعلم القلب الخشوع ولم يعلم العين الدموع وقصر اهتمامه على ما يملأ الرؤوس لا يملئ النفوس.

وقد لفت من ابن القيم الانتباه إلى الفرق بين الأمرين فقال: "فترى المتكلم يبحث في الزمان والمكان والجواهر والأعراض والأكوان.. والسالك إلى الله قد تجاوزها إلى جمع القلب على ربه المكون وعبوديته بمقتض اسمائه وصفاته...فالمتكلم متفرق مشتغل في معرفة حقيقة الزمان والمكان، والعارف قد شح بالزمان والمكان أن يذهب ضائعاً في غير السير إلى رب الزمان والمكان" (ابن القيم،1996).

فعلم السلوك هو الذي يروي القلب ويذكي التدين، ويزكي النفس ويسمو بالروح.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية" (الغزالي، 1989م).

وهذه الطريقة هي التي تحقق الغاية من خلق الثقلين المنصوص عليها في القرآن قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: 56].

2) مزج العلم والعمل بالرقائق:

مقصود العلم وغايته ربط المخلوق بالخالق ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ فلكي يحقق العلم مقصوده وتتحقق فيه السكينة والمعاني الإيمانية والروحية لا بد من مزجة بالرقائق.

قال ابن الجوزي: "رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال فليس له كبير عمل في رقة القلب، وإنما يرق القلب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين لأنهم تناولوا مقصود النقل وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد منها.وما أخبرتك بهذه إلا بعد معالجة ذوق... فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعه سير السلف الزهاد في الدنيا ليكون سبباً في رقة قلبك" (صيد الخاطر، 2004 م).

ولا شك أن منهج القرآن الكريم دليل يؤكد صحة ما ذهب إليه ابن الجوزي فأحكام القرآن كلها كانت ممزوجة بالحديث عن الآخرة والأجر والثواب والعقاب.

3) تحديث الناس بما يفهمون:

نظراً لاختلاف المدارك وتفاوت الفهوم فقد نؤخر بعض أبواب العلم والأحاديث منعاً من الوقوع في سوء الفهم وخطأ

(*) ومن ذلك اعتبار الفوائد البنكية من الربح الحلال، وأن لكل مسلم الحق في اختيار البنك الذي يريد التعامل معه. أنظر: مقابلة مع شيخ الأزهر والمقابلة منشورة في جريدة القبس الكويتية بتاريخ 2007/12/26م، وموجودة في موقع العربية نت؟

ومن ذلك فتاوى جمال البنا في مسائل الحجاب والفصل بين الجنسين، والعلاقة بينهما ومن ذلك قوله: نظراً لعدم قدرة الشباب والفتيات على الزواج ونظراً للظروف الاقتصادية الصعبة يجوز تبادل القبلات بين الشباب والفتيات غير المتزوجين في الأماكن العامة، وهي تأتي في اطار الذنوب الصغرى التي تمحوها الحسنات، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وليس كل محرم من الضروري ألا يفعله الإنسان.

ومن ذلك قوله: إن المرأة إذا وجدت في المجتمع الأوربي فما من حرج عليها أن تكشف شعرها لأن الحكمة من الحجاب (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)، والآن المحجبات يتعرضن للأذى، وأنه لا لزوم للحجاب وشعر المرأة ليس عورة.

وقال: لا يتم الزواج إلا برضاء المرأة وهي نفسها التي توقع العقد ولا يوجد شيء اسمه ولي عليها فهي ليست قاصراً.

وقال: إن مسألة الشهود في الزواج ليست مطلوبة وأضاف: هو عقد رضائي لا شهود ولا مهر.

التأويل إذا فهمت على ظاهرها، ومن ذلك أحاديث الرجاء.

وقد عنون البخاري لأحد أبواب العلم بقوله:"من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا" وذكر فيه قول الرسول ﷺ لمعاذ: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا، إني أخاف أن يتكلوا".

وقد ذكر ابن حجر أمثلة أخرى استدل بها على أهمية ذلك فقال: "وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة في الحرابين... وعن الحسن أنه انكر تحديث الحجاج بقصة العرنيين، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب. (فتح الباري، 1379هـ)

وقال ابن مسعود: "ما انت بمحدث قوماً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (مقدمة صحيح مسلم) فالمربي والعالم كالطبيب الذي يمنع بعض الناس بعض الأغذية بعض الوقت لمصلحة بدنية يراها وكذا أطباء الأديان.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الذي تحدثت فيه عن المرجئة وأثرها في الواقع المعاصر، أضع بين يدي القارئ الكريم أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1- المرجئة ليست فرقة تاريخية ظهرت ثم بادت وانتهت، وانتهى زمانها واندثرت آراؤها بل ما زالت أفكارها سارية في تيار عريض من جسم الأمة.

2- تختلف فرقة المرجئة عن الفكر الإرجائي المعاصر أن الأولى كانت تفسيراً خاطئاً لبيان منزلة العمل من الإيمان فهو ضلال نظر وسوء فهم وخطأ تفسير، بينما الفكر الإرجائي المعاصر مقصوده الخروج من الواجبات والتكاليف وتبرير للتقصير فيها.

3- الأمة بحاجة إلى كل فكرة وجهد يبعث على العمل، ويحيي الأمل، ويحث على الإنتاج ومحاربة كل فكرة تبعث على الخمول والكسل، ومناهضة البطالة فكرية كانت أو عملية. فأساس العمل فكرة وأساس الكسل فكرة، وأساس الأمل فكرة، وأساس اليأس فكرة، بل وأساس الإيمان فكرة، وأساس الكفر فكرة.

4- الإيمان قوة حقيقية وطاقة إيجابية، وأما السلبية والإنكماش فليس من طبيعة الإيمان، فالإيمان طاقة تبعث على الإنجاز لأنه بإيجاز سلوك اعتقادي أو اعتقاد سلوكي، وأمّا الفصل بين السلوك والإعتقاد فهو أمر تنكره الطبيعة البشرية وتلفظه الشريعة الإسلامية.

5- الطريق والأسلوب التي اعتمده علم الكلام قد يكون له بعض المساهمة والأثر في الفصل بين العلم والعمل بسبب جفاف الطريقة ووعورة الأسلوب، فالتأثير على القلوب وإستجاشة ما في النفوس قلبي أكثر منه عقلي، ووجداني أكثر منه فكري، ولا يستثير العمل شيءٌ كمخاطبة القلب والوجدان، ولذا فإن طريقة القرآن الجمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة والمزج بين مخاطبة العقل والوجدان.

6- سلوك كثير من الناس وأفكارهم بل وفتاوى بعض من يحسبون على الفكر الإسلامي تعتمد على الفكر الإرجائي، وإليه تنتسب وبه تدين وعليه تعوِّل، وصار كثير من أبناء الأمة يتبنى الإرجاء منهجاً وطريقة حياة يكون مجرد التصديق القلبي الخالي من الشعور الوجداني والعمل الإيجابي كافياً في كونه مناط نجاة وحبل وصول.

وختاماً نسأل الله تعالى أن يصلنا بحباله وأن ينجينا بملاذه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

الأشعري،ع. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (1950م) مكتبة النهضة العربية، القاهرة.

إقبال، م. تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود (1986م) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، ص 82.

أمين، أ. (1965م) فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص279.

أمين، أ. (1961م) ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

الأنصاري، ج. قطر الندى وبل الصدى، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد (1987م) ط2، المكتبة العصرية، بيروت. ص293.

الباجوري، ا. (2008م) شرح جوهرة التوحيد، ط1، دار السلام للنشر والتوزيع، ص94.

البخاري، م. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر (1422هـ) طوق النجاة، بيروت.

البغدادي، أ. (1997م) اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، ص14.
البغدادي، ع. الفرق بين الفرق، تحقيق طه عبد الرؤوف، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.
البيهقي، أ. شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني،1990م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 418.
الترابي، ح. (1984م) الإيمان وأثره في حياة الإنسان، ط2، منشورات العصر الحديث، ص5.
الترمذي، م. سنن الترمذي، كتاب الايمان، باب: ما جاء في من يموت وهو يشهد ان لا إله الا الله.
ابن تيمية، أ. مجموع الفتاوى، (د.ت)، (د.ط)، 21/7،202،229.
الحاكم، م. المستدرك على الصحيحين، ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (1990م) دار الكتب العلمية، بيروت.
حبنكة، ح. (1986م) العقيدة الإسلامية وأسسها، ط4، دار القلم، دمشق، ص33.
ابن حماد، ن. الفتن، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ص167.
الحنبلي،ع. (1414ه) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، ص19–20.
الحنفي،ع. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق أحمد محمد شاكر (1418ه)، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودية.
حوالي، س. (1999م) ظاهرة الإرجاء، ط1، دار الكلمة، جدة، ص166.
الخالدي، ص. (1994م) في ظلال الإيمان، ط3، دار القلم، دمشق، ص70.
ابن خلدون، ع. (1994م) المقدمة، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، 45/2.
الخوارزمي، م. (ت 387)، مفاتيح العلوم، حققه وقدم له: إبراهيم الابياري (2010م) الناشر: وزارة الثقافة الأردنية.
الذهبي، م. سير أعلام النبلاء (1419ه–1996م)، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 215/11_216، ص436.
رضا، م. تفسير المنار (1353ه) 127/1، 371.
أبو زهرة، م. (1987م) تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، 12/1، 122/2.
السيوطي، ع. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، 172/3–173.
الشاطبي، ا. الموافقات، 1995م، ط2، دار المعرفة، بيروت، 3/2.
الشهرستاني، م. الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ص119/1، 22، 146/144.
ابن عاشور، م. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (1973م) الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، ص63، ص88.
عباس، ف. البلاغة قوتها وافنانها، ط2، دار الفرقان، عمان، ص122.
عبدالله، م. الباقلاني وآراؤه الكلامية، تحقيق محمد رمضان عبدالله (1988م) إحياء التراث الإسلامي، العراق.
العسقلاني، أ. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل عبد الموجود (1415ه) ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
العسقلاني، ع. فتح الباري، 1379ه، دار المعرفة، بيروت.
ابن عساكر،ع. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة (1995م) دار الفكر، بيروت، 476/39.
العفاني، س. (1417ه) صلاح الأمة في علو الهمة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 213/4.
عماره، م. (1997م) تيارات الفكر الإسلامي، ط2، دار الشروق، القاهرة، ص33– 34.
عماره، م. (2010م) مقال: إلى صاحب أي مشروع نهضوي، مجلة الوسطية، تصدر عن المنتدى العالمي للوسطية، العدد الثالث، ص48–49.
العمري، م. علم الكلام بين الأصالة والتجديد، بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية.
الغزالي، م. إحياء علوم الدين، 1412ه، ط1، دار الحديث، القاهرة، 254/4.
الغزالي، م. عقيدة المسلم، 1989م، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص3.
فرغل، ي. (2000م) الفرق الإسلامية في الميزان، ط1، مطبوعات جامعة الامارات العربية المتحدة، ص220.
قاري الحنفي،ع. شرح كتاب الفقه الأكبر، خرج أحاديثه وعلق عليه: علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت، ص140.
القزويني، ح. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 290/5.
القسطلاني، أ. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (1323ه) ط7، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.
قطب، س. في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 3967/8.
قطب، س. (1983م) معالم في الطريق، ط1، دار الشروق، ص17_18.
قطب، م. مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق (1988) ط1، القاهرة، 69-71.
ابن القيم، م. (1997م) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ط1، دار المعرفة، المغرب، ص40.
ابن القيم، م. **الفوائد** (1973م) ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص85.
ابن القيم، م. (1392ه) مدارج السالكين دار الكتاب العربي، 330/1_331.
الكاندهلوي، م. (1998م) حياة الصحابة ط1، دار صادر، بيروت، 372/2.
ابن ماجه، م. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربي.
المنذري، ع. الترغيب والترهيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 220/3.
ابن منظور، م. لسان العرب، دار صادر، بيروت، 425/13، 191/15.

النجار،ع، مجلة الوسطية، مجلة تصدر عن المنتدى العالمي للوسطية، مقال: دور الإصلاح، ص7.
عبد المجيد النجار (2010م) العقدي في النهضة الإسلامية، العدد الثالث، السنة الثالثة، تموز.
النجار،ع. (1995م) فقه التدين، ط2، الزيتونة للنشر والتوزيع، ص 111.
النووي، ي. شرح صحيح مسلم، دار الشروق، بيروت، 10/18.

Al-Irja'a, and Its Effects in the Present Time

Mohammad K. Al-Omari*

ABSTRACT

This research tackles the thought of Al-Irja'، and its effects in the present time، focusing on the ideas and beliefs that have been، and still are، influential in the minds and behavior of a broad range of Muslims.

This study also addresses the apparent contradiction in Irja'i thought between belief and behavior، and attempts to indicate the reasons which lead to that، and tries to respond to some of its ideas and thoughts through textual and rational evidence.

Keywords: Al-Irja', Faith, Religious Sects.

* Faculty of Sharia, Alalbayat University, Jordan. Received on 8/11/2014 and Accepted for Publication on 18/2/2015.